

زيارة الأربعين
دراسة في تأسيسها التاريخي
وأثرها في ترسيخ الفكر العقدي

م.د. أحمد مهلهل مكلف الأسدي
جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الإنسانية

Ibn.almuhalhel@gmail.com

ملخص البحث:

في هذه الدراسة سأقوم بتقميش جملة من النصوص التاريخية والدينية، ثم أسلّط الضوء عليها لاستبيان جملة من المتعلقات بأهم حدث تاريخي عقدي قائم ومتكرّر في كل سنة ألا وهو زيارة الأربعين، فأدرس أولاً البداية التاريخية لتأسيسها ودواعي ذلك التأسيس، ثم أوضح الظروف التاريخية التي جعلت من هذه الزيارة تنال اهتمام بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأوضح بعد ذلك الأثر العقدي الذي تركته هذه الزيارة - على وجه الخصوص - على التشيع الإمامي.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الفكر العقدي، الإمام الحسين، الإمام الصادق.

الإمام العسكري.

Zyarat AL-Arbaeen A study of its historical foundation

Its impact on consolidating doctrinal thought

M.D. Ahmed Muhalhal, assigned to Al-Assadi

University of Karbala - College of Education for Human Sciences

Abstract

In this study, I will summarize a number of historical and religious texts, then shed light on them to identify a number of connections to the most important historical doctrinal event that exists and is repeated every year, which is Zyarat AL-Arbaeen . I first study the historical beginning of its establishment and the reasons for that establishment, then I explain the historical circumstances that made this The visit attracted the attention of some imams of Ahl al-Bayt, and I then explained the doctrinal impact that this event had - in particular - on Imami Shiism.

Keywords: Zyarat AL-Arbaeen. Nodal thought. Imam Hussein. Imam Al-Sadiq. Imam Askari

إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عموماً لها فلسفتها الخاصة، ونعرف ذلك من مجموع الزيارات التي يُزار (عليه السلام) بها، ومن كثرة الأحاديث التي وردت في باب زيارته (عليه السلام) التي أكّدت في بعضها على استحباب الزيارة للرجال والنساء، وتكريرها (ابن قولويه، ط ١، ١٤١٧ هـ، ص ٢٣٦-٢٣٨)، واستنكرت أخرى قلّة إتيان قبره الشريف من قبل بعض الموالين المؤمنين، وعدّ ذلك عقّاً واستخفافاً بأمر أهل البيت (الكليني، ط ١، ٢٠٠٧ م، ج ٤، ص ٣٣٦؛ ابن قولويه، ص ٢٤٦؛ الطوسي، ط ٤، ١٣٦٥ هـ، ج ٦، ص ٤٥)، مع تبيان عظم الأجر لزيارته لا سيما إذا كان على خوفٍ من السلطة أو غيرها، ولمن يُجهّز أحداً بغيّة زيارته (ابن قولويه، ص ٢٣٨-٢٤٨، ٢٦٢-٣٠٨) وغير ذلك من الخصوصيات، وهي في مجملها تدفع بالتجاه التمسك بصاحب أعظم نهضة في التاريخ الإنساني، الذي حفظ بيضة الإسلام بوقوفه مع نخبة مؤمنة ضد الطغيان الأموي، فمن أجل ذلك صاروا مدرسة للإنسانية في جهاد الظالمين.

إن هذه الدراسة تهتم بالإجابة عن جملة من التساؤلات، وهي: هل أن زيارة الأربعين عادة اجتماعية عديمة الأصل من الناحية الدينية؟ أو أنها إحياء لسُنّة نبوية؟ ومتى بدأ الشيعة يزورون الإمام الحسين (عليه السلام) في أربعينه؟ ومن هو واضع مفردات تلك الزيارة؟ وما أهميتها ودلالاتها؟ وكيف ينبغي أن نفهم مُراد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) من زيارة الأربعين كإحدى علامات المؤمن؟ ثم لماذا عدّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) تلك الزيارة من تلك العلامات؟ وما المسبب التاريخي الذي أثر في ذلك؟

إن هذه التساؤلات نجد الجواب عنها في ثنايا هذه الدراسة التي ارتأيت تقسيمها على مبحثين، أدرس في المبحث الأول التأسيس التاريخي لزيارة الأربعين، وفي الآخر

أدرس أثر الزيارة في الترسخ العقدي، تليها خاتمة فيها أبرز نتائج الدراسة، منتهج في ذلك الطريقة الاستقرائية-الاستنتاجية، والطريقة التاريخية أيضاً، معتمد على جملة من المصادر المختلفة.

المبحث الأول التأسيس التاريخي لزيارة الأربعين

إن البحث عن الجذور لكثير من القضايا سواء في الحقل التاريخي أو العقدي أو غيرهما مهمة يسعى الباحثون إلى إيجادها، وتعتمد أهمية النتيجة التي يتوصلون إليها على قدر أهمية الموضوع الذي يبحثون فيه، وزيارة الأربعين لا شك أنها قضية عظيمة والحدث الأكبر عالمياً الذي يتكرر في كل سنة، فما هو جذر هذه القضية؟ وكيف تم إحيائها؟ وهل هي تقليد أو عادة اجتماعية أو سنة نبوية تم إحيائها؟

إن المشهور بين الباحثين وغيرهم أن أصل هذه الزيارة يعود إلى ما قام به الصحابي الجليل جابر الأنصاري مع عطية العوفي من زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر، أي بعد مضي أربعين يوماً من تاريخ استشهاده عليه السلام فكان أول من زاره من الناس كما جاء في بعض مصادر الإمامية (المفيد، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٤٦؛ الطوسي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٥٤٨؛ ابن كرامة، ١٣٨٣ش، ص ١١٦) وإذا ما أُريدَ تبرير هذا الفعل الجماعي الكبير المتكرر سنوياً، وإدخاله في دائرة العقيدة الحقّة، فإنه-في الأغلب- يتم اعتماد حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي يقول فيه: ((علامات المؤمنين خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم)) (الطوسي، ص ٥٤٨)، وهنا أورد المشككون شبهة مفادها: لم يُرد

الإمام العسكري (عليه السلام) بزيارة الأربعين زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر، وإنما زيارة أربعين مؤمناً، وردّاً على ذلك أقول:

إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في أربعينه ابتدأت بعد أربعين يوماً من استشهاده، وكان في طليعة مَنْ زاره في ذلك اليوم مجموعة من خيرة أهل المدينة المنورة وأفقهم، وهم: رأس الصحابة وأجلّهم جابر بن عبد الله الأنصاري، ومجموعة من بني هاشم، ورجال من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) (ابن طاووس ط ١، ١٩٩٣ م، ص ١١٤)، وليس غريباً أن يصل خبر استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى هؤلاء بهذه السرعة ويشدّوا الرحال إلى كربلاء، لأن خبر استشهاد الإمام (عليه السلام) حصل لديهم في الساعة نفسها من يوم عاشوراء، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أعطى لزوجته أم سلمة تراباً مأخوذاً من موضع استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأخبرها بأن ذلك التراب إذا تحوّل إلى دم فإنه علامة مقتل ولده، فحفظت أم سلمة ذلك التراب عندها في قارورة، وكانت تنظر إليها بين الفينة والأخرى، حتى إذا ما استشهد الإمام (عليه السلام) وتحوّل ذلك التراب إلى دم وتحقّق الخبر لدى أم سلمة قامت بإخبار الناس في الحال بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) (الطوسي، ط ١، ١٤١٤ هـ، ص ٣١٥).

إن أسارى آل محمد (صلى الله عليه وآله) ومن معهم لما رجعوا من الشام مرّوا بكربلاء قاصدين زيارة قبور أحبّتهم، فوصلوا إلى مكان المصراع هم وأولئك من أهل المدينة في الوقت نفسه، فأقاموا المأتم أياماً عدّة يبكون ويلطمون، وانضمّ إليهم من نساء شيعة العراق (ابن طاووس، ص ١١٤) وهذا كلّ في حضور إمامين معصومين وتحت رعايتها، وهما: الإمامان علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر (عليه السلام)، مما يؤكّد أن إقامة العزاء والزيارة في يوم الأربعين في أسمى درجات القبول الشرعي.

وقد استمرَّ الشيعة يزورون الإمام الحسين (عليه السلام) في أربعينه، ولكن لم تكن لها مفردات خاصة كزيارة عاشوراء الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام) (ابن قولويه، ص ٣٢٧-٣٢٨؛ الطوسي، ص ٥٣٦-٥٣٧) فجاء الإمام الصادق (عليه السلام) فوضع مفرداتها قبل النصف الأول من القرن الثاني الهجري، فقد روى صفوان بن مهران (المفيد، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٢١٦؛ النجاشي ط ٥، ١٤١٦هـ، ص ١٩٨؛ الطوسي، ج ٢، ص ٧٤٠) ما نصّه: ((قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه: في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على وليّ الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد...)) (الطوسي، ص ٥٤٨)، وأستفيد من هذه النصّ أنّ الشيعة - كما أسلفت - كانوا يزورون الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من شهر صفر بعد استشهاد الإمام مباشرة، وكانت تلك الزيارة معروفة لديهم، ومن هنا قال الإمام الصادق (عليه السلام) لصفوان: ((في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار...))، فجاءت كلمة (الأربعين) معرّفة بالألف واللام من دون حاجة إلى إضافة ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) لها.

إن هذا القِدَم التاريخي للزيارة، يخدم البحث العلمي في قضيتين مهمتين، الأولى أن الزيارة لها أصل متين فقد كانت تحت رعاية الأئمة (عليهم السلام)، وهو ما يجعل هذه الممارسة الإيمانية والإمامية بل العالمية في غاية الصحّة من الناحية الشرعية، والأخرى أنها أغنتنا في مجال ردّ الشبهات التي يُثيرها البعض، من أن الإمام العسكري (عليه السلام) قصد بحديثه أربعين مؤمناً وليس زيارة الأربعين المعروفة، وهذا خلاف الحقيقة، فالإمام العسكري (عليه السلام) حين ذكر الأربعين معرّفةً باللام والألف، ومجرّدة من ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) فلأن من كان بحضرة من الشيعة كانوا يعرفون مُرادَه، كون زيارة الأربعين كانت مفهومة للجميع بعد أن مضت عقود كثيرة على تأديتها، فلذلك لم

يكن بحاجة إلى إيضاح أكثر، وليس ذلك من باب التقية كما ذكر البعض (//HTTPS://WWW.SHIA-DOCUMENTS.COM/9723)، لأنه ﷺ تحدث بحضرة شيعته وليس عند السلطان أو أتباعه.

إنَّ ما ذكرته من القِدَم التاريخي للزيارة والذي يعود إلى الأيام الأربعين الأولى من تاريخ استشهاد الإمام الحسين ﷺ هو ليس إعطاء العمق التاريخي لقضية أربعين الميت، ففي التراث الإسلامي توجد بعض الروايات تذهب بنا إلى زمن النبي آدم ﷺ أبي الإنسان، فقد روي أنه لما قتل قابيل أخاه هابيل، حزن عليه أبواه ﷺ أربعين صباحًا وبكياه (المسعودي، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ١٩؛ النويري، ط ١، ٢٠٠٤م، ج ١٣، ص ٣٤)، وحين تُوفِّي آدم لزمّت حواء قبره أربعين صباحًا وبكته، وتضيف الرواية الإسلامية ((صرخت ولطمت وجهها ودقّت صدرها، فأورثت ذلك بناتها إلى يوم القيامة)) (النويري، ج ١٣، ص ٣٥).

من هنا أرى أن زيارة الأربعين التي حُصّ بها الإمام الحسين ﷺ وهو وارث آدم صفوة الله كما قال الإمام الصادق ﷺ (الطوسي، ص ٧٢٠) يمتد جذرها إلى هذا العمق التاريخي الموغل في القِدَم، وقد تم إحيائها من قِبَل سلالة النبوة وخُزّان علم الله تعالى، والعلماء بمواريث الأنبياء، كونها سُنّة نبوية فعلها أبو الإنسانية، فهي ليست بدعة أو عادة اجتماعية لا أصل شرعي لها، وإنما هي سُنّة آتية من ذلك النبي كغيرها من السُنن الأخرى التي أتت عنه، كالتشهُد عند الاحتضار وتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، أو كتسمية المولود في اليوم السابع من مولده (المسعودي، ص ١٩، ٢١).

وبذلك لا أرى ما رآه بعضهم من أن زيارة الأربعين عادة اجتماعية تطورت حتى اتخذت حُكم العقيدة، وأنها ذات أصل فرعوني (المخزومي، ٢٠١٨م،

ص ١٥١-١٥٢) لأن فعل النبي آدم ﷺ متقدّم تاريخياً، فمنه كانت الفكرة وقد أحيها الأئمة ﷺ وشجّع عليها لاحقاً الإمام الحسن العسكري ﷺ، لتكون من أهم الزيارات التي يُزار بها الإمام الحسين ﷺ، فالأئمة ﷺ لم يكتفوا بأن يوجّهوا شيعتهم نحو استذكار مصائب أهل البيت ﷺ في عاشوراء، بل أرادوا أن يستمروا في استذكار ما جرى عليهم بعد القتل من أسرٍ وما فيه من المأساة العظيمة والأحداث الأليمة.

ويُعزّد ما قدّمته، من أن زيارة الأربعين سنّة نبوية، أو قل: سنّة إلهية، هو كثرة الأخبار الواردة في أن السماء والأرض بكّتا على الإمام الحسين ﷺ بعد استشاده أربعين صباحاً، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الصادق ﷺ (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وأن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحُمرة) (ابن قولويه، ص ١٦٧) أو لا شك أن الله تعالى هو وحده القادر على التحكّم بهذا الكون، ولن يفعل به تغييراً من هذا القبيل إلا لأمر عظيم وحكمة بالغة وحدث يهتزُّ له العرش، فزيارة الأربعين داخله ضمن هذا المجال ولا يمكن فصلها بأيّ حالٍ من الأحوال عمّا فعله النبي آدم وزوجه ﷺ ولا ما حدث للسماء والأرض حيث استشهد الإمام الحسين ﷺ.

المبحث الثاني أثر الزيارة في ترسيخ الفكر العقدي

إنَّ المتأمل في مفردات زيارات الأئمة الأطهار عليهم السلام يلحظ بوضوح تام الأفكار العقدية الموضوعية في تلك الزيارات، ففضلاً عما بيّنه الأئمة من الثواب العظيم والأجر الجزيل واستحصال البركات لزائر الإمام الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام نجد هناك أفكاراً عقدية سعى الإمام واضع مفردات الزيارة إلى بثّها عبر هذه الممارسة الإيمانية التي ندب إليها بكلّ قوّة وإصرار.

وإذا ما أسفنا النظر في زيارة الأربعين، فإننا سنلحظ جملة من الأفكار العقدية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام والذي رأى أن الزيارة أفضل وسيلة لبثّها في وسط المجتمع الشيعي، بل كل من يزور الإمام الحسين عليه السلام من مختلف التوجهات الدينية التي كثر في العصور المتأخرة لا سيما عصرنا الحاضر.

وحين نقول: إن الإمام الصادق عليه السلام رأى في بث الأفكار العقدية الحقّة بواسطة زيارة الإمام الحسين عليه السلام أفضل وسيلة، ذلك لأننا نعتقد بأنه عليه السلام كان يعيش في وسط رقابة عباسية شديدة، فكثير من الروايات والأخبار تصرّح بأن الإمام كان مراقباً، ومما روي في هذا أنه لعن من سمّاه باسم، وقد كان الرجل من شيعة يراه في الطريق فيبتعد عنه، وأن أحد شيعة ألقى عليه تحية السلام وهو في الطريق فما قبل ما صنع وذمه، لأن ذلك يعرضه للمكروه، بينما شكر آخر من أتباعه وحمده، لأنه ترك السلام عليه في الطريق خوفاً عليه من السلطة التي كانت تراقبه (النوبختي، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٦٩). ، فلمّا كان الحال هكذا، صار بث الحق والحقيقة بواسطة جملة من المفردات تحت عنوان زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام إحدى وسائل النشر تجنّباً للالتقاء

المباشر بالاتباع وهو أمر مرفوض تمامًا من قبل السلطة العباسية يومذاك.

إن إطلاق فكرة زيارة الأربعين من قبل الإمام الصادق عليه السلام جاء في زمن كان المجتمع - غير الشيعي الجعفري - يرى في الزيارة الجماعية لقبر الإمام الحسين عليه السلام سواء في الأربعين أو عاشوراء أو غيرهما من الزيارات، عيبًا يُعابوا به، وسببًا من أسباب توليد الغيظ لدى أعداء الأئمة عليهم السلام وشيعتهم، ومع وجود مثل هذه الأفكار التي تُضلل هذا الفعل المندوب في الشرع، والمؤكد عليه بشدة في أحاديث المعصومين عليهم السلام، كان لا بُدَّ من شحذ الهمم وتبيان شرعية هذه الزيارات وأهميتها، لذلك انبرى الإمام الصادق عليه السلام بالدعاء لهؤلاء الموالين، وبين حقيقة أمرهم وأمر عدوهم، ليميز بين الفرقتين وأيهما على العقيدة الحقّة.

نستشف هذه المعاني ممّا رواه معاوية بن وهب (النجاشي، ص ٤١٢؛ الطوسي، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٣٠٣). قال: ((استأذنتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: أدخل فدخلتُ فوجدته في مُصلاه في بيته فجلستُ حتى قضى صلاته فسمعتَه وهو يناجي ربه ويقول: «يا مَنْ خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلّتنا وسرورًا أدخلوه على نبيك - صلواتك عليه وآله - وإجابة منهم لأمرنا وغيظًا أدخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك فكافهم عنّا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلفوا بأحسن الخلف وأصحابهم واكفهم شرّ كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك أو شديد وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل من أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على

أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم، اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافاً منهم على من خالفنا فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس وارحم تلك الحدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش».

فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء فلما انصرف قلتُ: جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعتُ منك كان لمن لا يعرف الله لظننتُ أن النار لا تطعم منه شيئاً والله لقد تمنيتُ أن كنتُ زرتُّه ولم أحج، فقال لي: «ما أقربك منه فما الذي يمنعك من إتيانه»، ثم قال: «يا معاوية لم تدع ذلك»؟ قلت: جعلت فداك لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله. قال: «يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض» ((الكليني، ج ٤، ص ٣٣٦)).

فهلّا لحظنا ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في هذه الكلمات؟ إنه عليه السلام يقول: هناك حرب فكرية عقيدية، بين الموالين لنا أهل البيت وبين السلطة وأتباعها وبقية الطوائف ممن يرون في الزيارة أتمها فعلٌ مُعاب، بينما يرى فيها الإمام المعصوم ممارسة إيمانية تُدخل السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله واستجابة لما أمروا به من التزام زيارة الإمام الحسين عليه السلام وهذه الاستجابة في الحقيقة التي كلّفت الموالين كثيراً - وليس كثيراً في حق الإمام الحسين عليه السلام من إنفاق الأموال، وإشخاص الأبدان وتعريضها لسياط السلطة، وحرارة الشمس وإرهاق الطريق، وتحملهم الغربة حيث الابتعاد عن الأهل والوطن لأيام كثيرة، جعلت الإمام الصادق عليه السلام يدعو لهم ترسيخاً منه على

ما هم عليه من العقيدة الحقّة التي عابها عليهم الأعداء، ليس من الأعداء الغرباء فحسب بل حتى الثُّرْبَى كان بعضهم يعيب على الشيعة إتيان القبر الشريف وزيارته، وقد صرح بذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في مناسبة أخرى فقال: ((الحمد لله الذي جعل في الناس مَنْ يَفِدُ إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنَا مَنْ يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهدرونهم ويُفَبِّحون ما يصنعون)) (ابن قولويه، ص ٥٣٩).

ثم إننا إذا ما نظرنا في مفردات زيارة الأربعين التي وضعها الإمام الصادق (عليه السلام) سنجد أنه بيّن جملة من الحقائق المتعلقة بأمر الإمام الحسين (عليه السلام) فهو (عليه السلام) أَوْلَى أن الإمام الحسين (عليه السلام) وليّ الله وحبيبه، وصفي الله وابن صفيّه، وأنه شهيد مظلوم، قد أكرمه الله بالشهادة وحباه بالسعادة، واجتباه بطيب الولادة، وأنه سيد من السادة وقائد من القادة، بذل مهجته في الله تعالى من أجل استنقاذ العباد ممّا كانوا فيه من الجهالة وحيرة الضلالة، وليس تنافساً على سلطان، ولكن جُوبه بردّ جاهلي حتى سُفِكَ دمه واستبيح حريمه، من قِبَل أولئك الذين باعوا حظهم بالأرذل الأدنى وشروا آخرتهم بالثمن الأوكس، فأسخطوا بذلك الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله).

ثم بيّن (عليه السلام) بأن هذا الإمام الشهيد المظلوم هو ابن رسول الله وابن سيد الأوصياء وأنه أمين الله، قد وفى بعهد الله وجاهد فيه حتى أتاه اليقين.

ثم يتوجّه الإمام الصادق (عليه السلام) بلعن أولئك الذين قتلوا سيد الشهداء (عليه السلام) وظلموه، بل حتى أولئك الذين سمعوا بما نزل به وبأهل بيته من القتل والأسر والنهب فرضوا بذلك.

ثم انتقل الإمام (عليه السلام) لمسألة الموالاتة لهذا الإمام المظلوم والمعاداة لأعدائه، هذا الإمام الذي يجب معرفته بأنه نور الله تعالى قد تنقّل في الأصلاب الشاخنة والأرحام

المطهرة من غير أن تشوبه شائبة من شوائب الجاهلية، وأنه من دعائم الدين وركن من أركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وهكذا بقية الأئمة التسعة المعصومين عليهم السلام من ولده، الذين هم كلمة التقوى وأعلام الهدى.

بعد ذلك طرح الإمام الصادق عليه السلام قضية السلم القلبي لهؤلاء الأبطال وأتباع أمرهم وأن نصرته لهم مُعدّة، مع تأكيده على مسألة المعية معهم لا مع عدوّهم، ثم يجتم بالصلاة على أرواحهم وأجسادهم وشاهدتهم وغائبهم وظاهرهم وباطنهم (الطوسي، ص ٥٤٨-٥٤٩).

في الحقيقة، إن هذه القضايا التي ضمّنها الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام هي قضايا فكرية وعقيدية كان من المهم جدًا تعليمها للإتباع في ذلك الوقت وترسيخها لديهم، وبما أنه كان مُراقبًا ومحظورًا عليه الاجتماع بأتباعه، لذلك كانت الزيارة حيث التجمّع الشيعي عند قبر الإمام الحسين عليه السلام (ابن قولويه، ص ٥٣٩). هي الوسيلة المثلى، بالرغم مما فيها من الخطورة على الموالين، ولكن الاستمرار على العقيدة الحقّة كان يستوجب الثبات على المبدأ، لذلك استمر الشيعة على إتيان قبر الإمام الحسين عليه السلام مع استمرار منع السلطة لهم، بل ازدياده لا سيما في حكومة المتوكل العباسي (٢١٨-٢٣٦هـ/) الذي كان يصدر الأوامر الشديدة القاضية بمنع الزيارة (الطبري، ط ١، ١٩٨٧م، مج ٥، ص ٣١٢؛ ابن الأثير، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٦، ص ١٣٠)، وبقاء النظرة الاستهزائية أيضًا من قبل بعض الخصوم (الطوسي، ط ١، ١٤١١هـ، ص ٢٤٠-٢٤٢) لذلك كان لا بُدّ من إعطاء دعم عقيدي قوي للإتباع وتمييزهم عن غيرهم بأنهم هم الجماعة المؤمنة حقًا، فجاء حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام صريحًا في ذلك حين عدّ زيارة الأربعين من

علامات المؤمن، كون مفرداتها تحمل ما أتينا على بيانه من تلك الأفكار العقديّة، وأن من قرأها واعتقد بها فإنها صار من أتباع الأئمة الاثني عشر الذين بين الإمام الصادق عليه السلام شيئاً من منزلتهم في الزيارة، التي كان أداؤها ليس بالأمر اليسير، فكما أسلفنا هناك إرهابٌ سلطوي، واستهزاءً من بعض الجماعات، مع ما فيها من مخاطر الطريق ومتاعبه، وإنفاق للأموال، والابتعاد عن الأهل، فصار لحديثه وما سبقه من جهود الإمام الصادق عليه السلام واضع مفردات الزيارة، أعظم الأثر في ترسيخ الفكر العقدي الحق لدى الموالين على مدى العصور، وجعلهم مستمرّي المسير نحو القبر الشريف للإمام الحسين عليه السلام لا سيما في المناسبات العظيمة كيوم عاشوراء، ويوم عرفة، والنصف من شعبان، والعشرين من صفر وغيرها، وإلى هذا أشار الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) بقوله: ((كربلاء موضعها على غربي الفرات.. وبها قبر الحسين بن علي وله مشهد عظيم في أوقات من السنّة)) (الإدريسي ٢٠٠٢م، ص ٦٦٨)، وذكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) زيارة الأربعين صراحةً وأنها كانت معروفة، فكتب: ((والإمامية تقول: إنّ الرأس أُعيدَ إلى كربلاء بعد أربعين يومًا من المقتل، وهو يوم معروف عندهم يسمّونه الزيارة، فيه زيارة الأربعين)). (بن أحمد، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ١١٢٢).

الخاتمة :

تمخّضت هذه الدراسة التي خصّصتها للتأسيس التاريخي لزيارة الأربعين وأثرها في ترسيخ الفكر العقدي- عن مجموعة من النتائج وهي:

أولاً: إن أصل زيارة الأربعين سنة إلهية، وليست تقليداً أو عادة اجتماعية عديمة الأصل، فحزن النبي آدم وزجه عليه السلام على ابنهما هابيل القتل أربعين يوماً، وبكاء السماء والأرض على الإمام الحسين عليه السلام أربعين يوماً أيضاً، هو أساس لهذا الفعل الذي أحياه الأئمة عليهم السلام.

ثانياً: إن زيارة الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام لقبر الإمام الحسين عليه السلام في أربعينه الأولى، ومشاركتها في البكاء والحزن وإقامة المآتم، جعل تلك الزيارة في أسمى درجات القبول الشرعي.

ثالثاً: إن زيارة الأربعين، حيث التجمّع الشيعي الكبير ثم العالمي في ما بعد، مثّلت مادة إعلامية فريدة من نوعها لنشر الأفكار العقدية التي لم يكن باستطاعة الأئمة عليهم السلام نشرها- كما يُرام- في المجتمع، بسبب مضايقتهم الشديدة من قبل السلطة العباسية.

رابعاً: عدّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام زيارة الأربعين من علامات المؤمن، كونها تحمل جملةً من الأفكار العقدية الحقّة الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، فيصبح القارئ للزيارة والمعتقد بكلماتها مؤمناً بلا شك ولا ريب، ومميّزاً عن غيره من أصحاب التوجهات الدينية الأخرى في ذلك العصر، فضلاً عن ذلك مواجته الشديدة لجملة من التحديات من قبيل السلطة وبعض طوائف المجتمع على

حدّ سواء، والتي لا يثبت لها إلا المؤمن بقضيته.

خامساً: لزيارة الأربعين أثر كبير في ترسيخ العقيدة الحقّة لدى شيعة أهل البيت [وتقوية أواصر الارتباط بهم، ويظهر ذلك بوضوح من أنها مختلفة عن الزيارات الأخرى بأن الموالين يأتون- في الأغلب- زائرين مشياً على أقدامهم طوين مسافات بعيدة للغاية.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر
- ١. ابن الأثير، علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)
- الكامل في التاريخ، ط ١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٢. الإدريسي، محمد بن محمد (ت: ٥٦٠هـ)
- ٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٣. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)
- ٤. تاريخ الأمم والملوك، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٤. الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)
- ٥. اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، (د.ت).
- ٦. تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الموسوي، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.
- ٧. رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم،

١٤١٥هـ.

- ٨- الغيبة، تحقيق: عبد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١١هـ.
- ٥- ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت: ٣٦٨هـ)
- ٩- كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٧هـ.
- ٦- الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)
- ١٠- الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٧- ابن كرامة، المحسن بن كرامة (ت: ٤٩٤هـ)
- ١١- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، طهران، ١٣٨٣ش.
- ٨- المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ)
- ١٢- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (منسوب إليه)، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٩- المفيد، محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ)
- ١٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) للتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٤- مسار الشيعة في مختصر تاريخ الشيعة، تحقيق: مهدي نجف، ط١، المؤتمر العلمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
- ١٠- النجاشي، أحمد بن علي (ت: ٤٥٠هـ)
- ١٥- فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، تحقيق: موسى الشيرازي، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.

- ١١- النوبختي، الحسن بن موسى (ت: ٣١٠هـ)
- ١٦. فرق الشيعة، ط١، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٢م.
١٢- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣هـ)
- ١٧. نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

ثانياً: المراجع:

- ١٢.١٨. المخزومي، صادق
- زيارة الأربعين، دراسة سوسولوجية ميدانية، مؤسسة أديان للثقافة والحوار، النجف الأشرف، ٢٠١٨م.

ثالثاً: شبكة الإنترنت:

- 19. <https://www.shia-documents.com/9723/>